خاص لأعضاء وزوار شبكة الإمام الآجري المباركة

تلخيص كتاب مباحث في علـوم الـقرآن

لمناع القطان

إعداد الفقير إلى الله

أم خليفة السلفية

بسم الله الرحمن الرحيم

❁ القرآن الكريم في سيرة خير الأنام وصحبه الكرام:

كان رسول الله ﷺ يفسر للصحابة بعض الآيات وهي كما قال عقبة بن عامر: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر: "﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾الأنفال: 60 ألا إن القوة الرمي" أخرجه مسلم.

لقد حرص الصحابة على تلقي القرآن الكريم من رسول الله ﷺ وحفظه وفهمه وتطبيقه في حياتهم فقد كانوا رضوان الله عليهم يحفظون عشرة آيات ولا يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا:" فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا" ، وعن أنس ﷺ قال: "كان الرجل منا إذا قرأ البقرة وآل عمرآن جد فينا"رواه أحمد في سنده.

لم يأذن الرسول ﷺ الصحابة بكتابة شيء عنه غير القرآن ؛وذلك خشية أن يلتبس القرآن بغيره ، وهي كما قال أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فاليمحه ، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"رواه مسلم.

❁ التفسير والمفسرون:

من أشهر المفسرون من الصحابة: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير. وليكن في الحسبان أن ما روي عنهم لا يتضمن تفسييرا كاملا للقرآن بل إنما بتفسير غامضها وتوضيح مجملها.

ومن أشهر تلاميذ ابن عباس التابعون بمكة: سعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، ومولى ابن عباس.

وأما عن تلاميذ ابن كعب بالمدينة: زيد بن أسلم، وأبو العالية، ومحمد بن كعب القرظي.

لقد روي عن هؤلاء المفسرون علوم عديدة ألا وهي: علم التفسير، وعلم غريب اللفظ[1] ، وعلم أسباب النزول، وعلم المكي والمدني، وعلم الناسخ[2] والمنسوخ[3].

ولقد اشتهر ابن جريري الطبري المتوفي سنة 310 هـــ بتفسيره الكامل والمتكامل للقرآن الكريم ، وألف محمد بن خلف المرزبان المتوفي سنة 309 هـــ بكتابه الحاوي في علوم القرآن.

---

[1] – وهو ما يفسر الألفاظ الغير مفهومه من حيث: معناه والمراد منها.

[2]– الحكم الدي يعمل به

[3] – الحكم الدي سبق حذفه

ولقد جمع الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني جميع المباحث التي تتعلق بالقرآن في كتاب واحد وهو: مناهل العرفان في علوم القرآن.

ثم جاء بعد ذلك بدر الدين الزركشي المتوفي سنة 794 هـ ، وألف كتابا وافيا سماه البرهان في علوم القرآن.

وألف كذلك جلال الدين السيوطي المتوفي سنة 911 هـ ، كتابه المشهور: الإتقان في علوم القرآن.

وبهدا فقد بدأ التفسير أولا بالنقل عن طريق التلقي والرواية، ثم كان تدوينه على أنه باب من أبواب الحديث، ثم دون على استقلال وانفراد، وتتابع التفسير بالمأثور ثم التفسير بالرأي(بالعقل).

❁ مفهوم علوم القرآن:

العلوم(لغةً): جمع علم، والعلم: الفهم والإدراك.

علوم القرآن (اصطلاحاً): هي العلوم التي تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وإعجازه وجمعه وترتيبه وناسخه ومنسوخه وقراءته ونحو ذلك.

وقد يسمى هذا العلم بأصول التفسير؛ لأنه يتناول المباحث التي لا بد للمفسر من معرفتها للاستناد إليها في تفسير القرآن.

❁ مفهوم القرآن الكريم:

القرآن(لغةً): مشتقة من قرأ يقرأ بمعنى تلى يتلو تلاوة، وهو علم على وزن غفران شكران، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ القيامة:17.

القرآن الكريم (اصطلاحا): هو كلام الله المعجز (أي لا يقدر أي شخص أن يأتي بمثله) المتعبد بتلاوته المنزل على محمد المنقول بالتواتر المكتوب في المصاحف.

❁ من أسماء القرآن الكريم:

"القرآن" ،كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ الإسراء:9.

"الكتاب" ،كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ البقرة: 2.

"الفرقان" ،كما قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ الفرقان: 1.

"الذكر" ،كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون﴾ الحجر:9.

"التنزيل" ،كما قال تعالى:﴿ وَإِنّهُ لَتنزِيلُ رَبِ العَالَمِين﴾ الشعراء: 192.

❁ من صفات القرآن الكريم:

نور وهدى وشفاء ورحمة وموعظه ومبارك ومبين وبشرى وعزيز ومجيد وبشر ونذير.

❁ مفهوم الحديث النبوي:

الحديث (لغةً): ضد القديم ، وهو الجديد.

الحديث النبوي (اصطلاحا): ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة.

❁ مفهوم الحديث القدسي:

القدسي (لغةً): نسبة إلي القدس، وهي نسبة تدل على التعظيم والتنزيه والتطهير.

الحديث القدسي (اصطلاحا): هو ما يضيفه النبي ﷺ إلى الله تعالى.

❁ نقل الحديث يكون بطريقتان:

بالتواتر: أي أن يرويه جمع غفير من الناس.

بالأحاد: أي أن يرويه شخص أو شخصان ولم يبلغ حد التواتر.

❁ الفرق بين القرآن والحديث القدسي:

القرآن الكريم	وقع به التحدي والإعجاز	منسوب إلى الله	منقول بالتواتر	قطعي الثبوت	لفظه ومعناه من عند الله	متعبد بتلاوته
الحديث القدسي	لم يقع به التحدي والإعجاز	مضافا إلى الله بنسبة إنشاء	منقول بالآحاد	ظني الثبوت	معناه من عند الله ولفظه كم عند الرسول	لا يتعبد بتلاوته

❁ الحديث النبوي قسمان هما:

قسم توقيفي: أي أن المعنى من عند الله ولفظه من عند الرسول أي جاء من الوحي.

قسم توفيقي: وهو ما استنبطه الرسول ﷺ من فهمه للقرآن، أي بالإجتهاد .

❁ الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي:

أقر عامة العلماء أنه لا فرق بينهما لأن كلام الرسول كله وحي كما قال تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى﴾ النجم:3-4 .

الحديث القدسي	الكلام مضافا إلى الله
الحديث النبوي	الكلام مضافا إلى الرسول

❁ مفهوم الوحي:

الوحي(لغةً): الإشارة السريعة

وللوحي معاني لغوية وهي كالتالي:

1 – الإلهام الفطري للإنسان، كالوحي إلى أم موسى. قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ القصص:7.

2 – الإلهام الغريزي للحيوان، كالوحي إلى النَّحل . قال تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنْ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ النحل: 68.

الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء. قال تعالى عن زكريا: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنْ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ مريم: 11.

3 – وسوسة الشيطان وتزيينه الشرَّ في نفس الإنسان. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ الأنعام: 121.

4 – أمر الله إلى الملائكة في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الأنفال: 12.

الوحي (اصطلاحاً): هو كلام الله المنزل على نبي من أنبيائه بطريقة خفية سريعة، غير معتادة للبشر.

❁ كيفية وحي الله إلى الملائكة:

1–كلام الله للملائكة، كما قال سبحانه:﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء﴾ البقرة: 30 .

وكما أن الله عز وجل يكلم الملائكة بدون واسطه وبكلام يفهمونه والدليل على ذلك حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه الذي يقول فيه: قال رسول الله ﷺ:" إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي؛ أخذت السماوات منه رجفة –أو قال: رعدة شديدة– خوفا من الله عز وجل فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخروا لله سجدا، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمرجبريل على الملائكة، كلما مر بسماء؛ سأله ملائكتها: ماذا قال

ربنا يا جبريل ؟ يقول: قال الحق، وهو العلي الكبير. فيقولون كلهم مثل ما قالجبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل" رواه مسلم وأحمد.

2- وثبت أن القرآن الكريم كتب في اللوح المحفوظ بطريقة ووقت لا يعلمها إلا الله ومن أطلعه على غيبه، وكان جملة لا مفرقاً، وذلك ظاهر من قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ البروج: 21-22 ، وثبت أيضاً النزول من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ويظهر من خلال الآيات القرآنية التي يستدل بها على هذا النزول ما يفيد بأن القرآن نزل في ليلة واحدة إلى السماء الدنيا ،قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ القدر: 1،وقال عز وجل: ﴿إِنَّاأَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾الدخان: 3، وقال سبحانه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾ البقرة: 185.

وبهذا فقد ذهب العلماء في كيفية وحي الله إلى جبريل بالقرآن إلى المذاهب الآتية:

1 - أن جبريل تلقفه سماعا من الله بلفظه المخصوص، وهو الرأي الصواب الذي عليه أهل السنه والجماعة ويؤيده حديث النواس بن سنعان.

2 - أن جبريل حفظه من اللوح المحفوظ.

3 - أن جبريل ألقى إليه المعنى ، والألفاظ لجبريل ، أو لمحمد ﷺ، وهذ ا ليس من رأي أهل السنة والجماعة.

❁ كيفية وحي الله إلى رسله وهو على نوعين:

- بغير واسطة:

1- مثل الرؤيا الصالحة في المنام. عن عائشة رضي الله عنها قالت :"أول ما بدىء به ﷺ الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح" رواه البخاري.

2- التكليم الإلهي من وراء حجاب ليلة الإسراء والمعراج مباشرة بلا واسطة ،قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ الشورى: 51.

- بواسطة:

الحالة الأولى: يأتيه مثل صلصلة الجرس[4]، وهو أشده على الرسول ﷺ، فصلصلة الجرس يكون ناتجا إما من عن حفيف أجنحة الملك ،أم من صوت الملك نفسه في أول سماع الرسول له.

الحالة الثانية: أن يتمثل له الملك رجلاً، ويأتيه في صورة بشر،وكان غالبا ما يأتيه على صورة الصحابي دحيا الكلبي ،وهذه الحالة أخف على الرسول ﷺ.

[4] - هو في الأصل صوت وقوع الحديد بعضه على بعض ، ثم أطلق على كل صوت له طنين.

روت السيدة عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام سأل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي فقال: رسول الله ﷺ : " أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليَّ فَيَفْصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول.." رواه البخاري.

الحالة الثالثة: النفث في الرُّوْع ، أي القلب، والدليل كما قال : " أن روح القدس نفث في رُوْعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجَلها، وتستوعب رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب" رواه أبو نعيم.

❁المكي والمدني:

لقد كان الصحابه يهتمون بالقرآن الكريم اهتماما بالغا حتى في أثناء نزوله ، كما قال ابن مسعود ﷺ:" والله الذي لا إله غيره ما نزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله، تبلغه الإبل لركبت إليه" أخرجه البخاري.

❁خصائص السور المكية:

1-الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله وذكر القيامة والجنة .

2-يفضح أعمال المشركين من سفك دماء وأكل أموال اليتامى.

3-قوة الألفاظ مع قصر الفواصل وإيجاز العبارة.

4-الإكثار من قصص الأنبياء وتكذيب أقوامهم.

❁خصائص السور المدنية:

1 - بيان العبادات والمعاملات والحدود والجهاد.

2 - مخاطبة أهل الكتاب ودعوتهم إلى الإسلام .

3 - الكشف عن سلوك المنافقين وبيان خطرهم على الدين.

4 - طول المقاطع والآيات في أسلوب يقرر قواعد التشريع .

❁ فوائد معرفة المكي والمدني:

1- الاستعانة في تفسير القرآن وفهم معانيه .

2- يعرف بالمكي والمدني الناسخ والمنسوخ .

3- تذوق اساليب القرآن والاستفادة منها في اسلوب الدعوة .

5 – الوقوف على السيرة النبوية من خلال الآيات القرآنية .

❁ اعتماد العلماء في معرفة المكي والمدني على منهجين أساسين وهما:

1– المنهج السماعي النقلي: يستند إلى الرواية الصحيحة عن الصحابة والتابعين الذين عاصروا الوحي وشاهدوا نزوله، أو عن التابعين الذين تلقوا عن الصحابة وسمعوا منهم كيفية النزول ومواقفه وأحداثه.

2– المنهج القياسي الاجتهادي: يستند إلى خصائص المكي وخصائص المدني، ولهذا نجدهم يقولون: كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية فهي مكية، وكل سورة فيها فريضة أو حدّ فهي مدنية.

❁ آراء العلماء في الفرق بين المكي والمدني:

آراء العلماء / مكان النزول	الرأي الأول(الراجح) اعتبار زمن النزول	الرأي الثاني اعتبار مكان النزول	الرأي الثالث اعتبار المخاطب
المكي	ما نزل قبل الهجرة وإن كان بغير مكة	ما نزل بمكة وما جوارها كمنى وعرفات والحديبية	ما كان خطابا لأهل مكة أي الكفار
المدني	ما نزل بعد الهجرة وإن كان بغبر المدينة	ما نزل بالمدينة وما جاورها كأحد وقباء وسلع	ما كان خطابا لأهل المدينة أي المؤمنون
ليس مكي أو مدني	_	ما نزل بالأسفار أوتبوك أوبيت المقدس	ما نزل بغير نداء للكفار أو المؤمنون

❁ مميزات السور المكية:

– ضوابط المكي:

1– كل سورة فيها سجدة.

2– كل سورة فيها لفظ كلا.

3– كل سورة فيها يا أيها الناس

4– كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الغابرة.

5– كل سورة فيها قصة آدم وإبليس ما عدا البقرة.

6 – كل سورة تفتح بحروف التهجي مثل: آلم، آلر، حم، ما عدا البقرة وآل عمران.

– المميزات الموضوعية وخصائص الأسلوب المكي:

1-الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله ، وذكر القيامة والجنة والنار، ومجادلة المشركين.

2- يفضح أعمال المشركين من سَفْك دماء، وأكل أموال اليتامى ، ووأد البنات.

3- قوة الألفاظ مع قصر الفواصل وإيجاز العبارة.

4- الإكثار من عرض قصص الأنبياء وتكذيب أقوامهم لهم للعبرة، والزجر، وتسلية للرسول ﷺ.

❁ مميزات السور المدنية:

- ضوابط المدني:

1- كل سورة فيها فريضة أو حدّ.

2- كل سورة فيها ذكر المنافقين.

3- كل سورة فيها مجادلة أهل الكتاب.

4- كل سورة تبدأ بـــ ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾.

- المميزات الموضوعية وخصائص الأسلوب المدني:

1- بيان العبادات والمعاملات، والحدود، والجهاد، والسِّلْم، والحرب، ونظام الأسرة، وقواعد الحكم، ووسائل التشريع.

2- مخاطبة أهل الكتاب ودعوتهم إلى الإسلام.

3- الكشف عن سلوك المنافقين وبيان خطرهم على الدين.

4- طول المقاطع والآيات في أسلوب يقرر قواعد التشريع وأهدافه ومراميه.

❁ معرفة أول ما نزل وآخر مانزل:

- اختلاف آراء العلماء في أول ما نزل من القرآن فمنهم من قال أن:

1 - أن أول ما نزل هو قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ العلق: 1 ، وهو الأصح عند أهل العلم. فقد ثبت في الصحيحين وغيرهما - وهذا لفظ البخاري - عن حديث عائشة رضي الله عنها، قالت" أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه - وهو التعبد الليالي ذوات العدد - قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ. قال: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني، فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم

أرسلني، فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني، فغطني الثالثة، ثم أرسلني، فقال : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ العلق: 1-3 ، فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده "،وهذا قول ابن عباس ومجاهد وجمهور العلماء.

2 – أن أول ما نزل هو قوله تعالى: ﴿يا أيّها المُدَثر﴾ المدثر:1.

وهذا القول مروي عن جابر بن عبد الله وأبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف. ومن أدلة هذا القول ما رواه الشيخان: عن يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن أيّ القرآن أنزل أول؟ فقال ﴿ :يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾، فقلت: أنبئت أنه ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ، فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله أي القرآن أنزل أول؟ فقال ﴿ :يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ ، فقلت: نبّئت أنه ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ فقال: لا أخبرك إلا بما قال رسول الله ﷺ، قال رسول الله: جاورت في حِراء، فلما قضيت جواري هبطت، فاستبطنت الوادي، فنوديتُ فنظرت أمامي، وخلفي، وعن يميني، وعن شمالي، فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض، فأتيت خديجة، فقلت: دثّروني وصبوا عليَّ ماء باردًا، وأنزل عليَّ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾المدثر 1-3.

– **اختلاف آراء العلماء في آخر ما نزل من القرآن فمنهم من قال أن:**

1 – آخر ما نزل آية الربا، لما أخرج البخاري عن ابن عباس قال: "آخر آية نزلت آية الربا"، والمراد بها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنْ الرِّبَا﴾ البقرة: 278 ،وهو الأصح عند أهل العلم.

2 – آخر ما نزل قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ البقرة:281 ، لما رواه النسائي وغيره عن ابن عباس وسعيد بن جبير: "آخر شيء نزل من القرآن ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ البقرة:281".

3 – آخر ما نزل آية الدين، لما روي عن سعيد بن المسيب: " إنه بلغه أن أحدث القرآن عهدا بالعرش أية الدين"، والمراد بها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه﴾ البقرة:282".

4 – أخرج مسلم عن ابن عباس قال: " آخر سورة نزلت: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ النصر:1".

– **فوائد معرفة أهم ما نزل وهي كما يلي:**

1 – بيان العناية التي تحظى بها القرآن الكريم صيانه له وضبطا لآيته.

2 – إدراك أسرار التشريع الإسلامي في تاريخ مصدره الأصيل.

3 – تمييز الناسخ من المنسوخ.

❁ عناية العلماء بأسباب النزول:

لقد اعتنى الباحثون في علوم القرآن بمعرفة ، أسباب النزول و لمسوا شدة الحاجة إليه في تفسير القرآن و بيان أحكامه ، حيث أفردوه بالبحث و التأليف جماعة من العلماء نذكر منهم:

- علي بن المديني ، وهو شيخ البخاري.
- أبو الحسن الواحدي ، وألف كتابه "أسباب النزول".
- الجعبري ، ولخص و نقح كتاب الواحدي.
- ابن حجر العسقلني ،ألف كتابه "العجاب في بيان الأسباب".
- جلال الدين السيوطي ، وألف كتابه "لباب المنقول في أسباب النزول".

❁ ما يعتمد في معرفة أسباب النزول:

- صحة الرواية عن الرسول ﷺ، أو عن الصحابة، والقول في أسباب النزول في الكتاب لا يحل إلا بالرواية والسماع، وتكون الرواية صحيحة بتوفر الشروط التالية: اتصال السند، وعدل الراوي، وضبطه، وخلاء الراوي من الشذوذ، وخلاء الحديث من العلل.

❁ تعريف سبب النزول:

هو ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال، ومن الإفراط في علم النزول أن نتوسع فيه .

❁ مثال على نزول القرآن بسبب حادثة:

عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾الشعراء: 214، خرج النبي ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف: يا صباحاه[5]، فاجتمعوا إليه فقال" أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبا، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذا شديد، فقال أبو لهب تباً لك، إنما جمعتنا لهذا، ثم قام، فنزل قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ المسد: 1.

[5] تقال عند العرب عندما يريد المرء تحذير عشيرته من جيش قادم أو غيره.

❁ مثال على نزول القرآن بسبب سؤال سُؤِل به رسول الله ﷺ :

أن يُسال الرسول ﷺ عن شيء، فينزل القرآن ببيان الحكم مثال ذلك: عن عبد الله قال: إني مع النبي ﷺ في حرث بالمدينة وهو متكىء على عسيب، فمر بنا ناس من اليهود فقالوا: سلوه عن الروح، فقال بعضهم: لا تسألوه فيستقبلكم بما تكرهون، فأتاه نفر منهم فقالوا له: يا أبا القاسم ما تقول في الروح؟ فسكت، ثم قام، فأمسك وجهه بيده على جبهته، فعرفت أنه ينزل عليه، فأنزل الله عليه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلا﴾الإسراء: 85.

❁ أقسام نزول القرآن:

- آيات نزلت أبتدائية: أي لا سبب لنزولها.
- آيات نزلت سببية: أي نزلت لسبب ما.

❁ فوائد معرفة سبب النزول:

لمعرفة سبب النزول فوائد أهمها:

أ- بيان الحكمة التي دعت إلى تشريع حكم من الأحكام وإدراك مراعاة الشرع للمصالح العامة في علاج الحوادث رحمة بالأمة.

ب- الاستعانة على فهم الآية وتفسيرها وإزالة الإشكال عنها، لما هو معلوم من الارتباط بين السبب والمسبب.

قال الواحدي: لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها.

قال ابن دقيق العيد: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن.

قال ابن تيمية: معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب.

مثال: ما أشكل على مروان بن الحكم في فهم الآية الآنفة الذكر: ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾آل عمران:188 وقال: لئن كان كل امرىء فرح بما أُوتي، وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً، لنعذبنَّ أجمعون، حتى بين له ابن عباس أن الآية نزلت في أهل الكتاب حين سألهم النبي ﷺ عن شيء، فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، وأَرَوْه أنهم أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه.

ج- ويوضح سبب النزول مَن نزلت فيه الآية حتى لا تُحمل على غيره بدافع الخصومة والتحام.

مثال: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾الأحقاف:17, فقد أراد "معاوية" أن يستخلف "يزيد" وكتب إلى

"مروان" عامله على المدينة بذلك، فجمع الناس وخطبهم ودعاهم إلى بيعة "يزيد" فأبى قال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾ فردت عليه عائشة وبيَّنت له سبب نزولها، "عن يوسف بن ماهك قال: كان مروان على الحجاز، استعمله معاوية بن أبي سفيان، فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه، فقال عبد الرحمن بن أبي بكر شيئًا، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه، فقال مروان: إن هذا أنزل فيه: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا﴾ فقالت عائشة: "ما أنزل الله فينا شيئًا من القرآن إلا أن الله أنزل عذري[6]"

❁ صيغة سبب النزول:

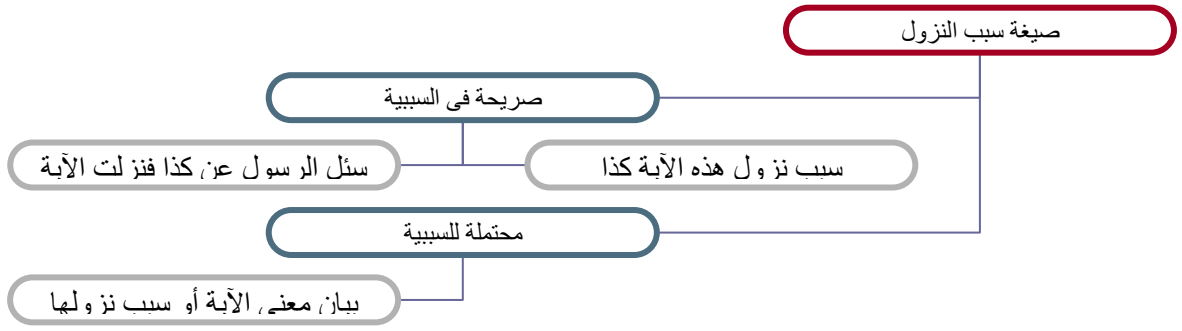

مثال على الصيغة الصريحة في السببية:

ما رُوِي عن ابن عمر –رضي الله عنهما– قال : "أُنزلت﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ البقرة:223. في إتيان النساء في أدبارهن".

مثال على الصيغة المحتملة للسببية:

ما حدث للزبير والأنصاري ونزاعهما في سقي الماء، وتشاكيا إلى رسول الله ﷺ ونفذ فيهما حكم الله، فكأن الأنصاري لم يعجبه هذه الحكم، فنزل قوله تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ النساء: 65. فقال الزبير ما أحسب هذه الآية إلا في ذلك.

[6] أي حادثة الإفك .

تعدد الروايات في سبب النزول:

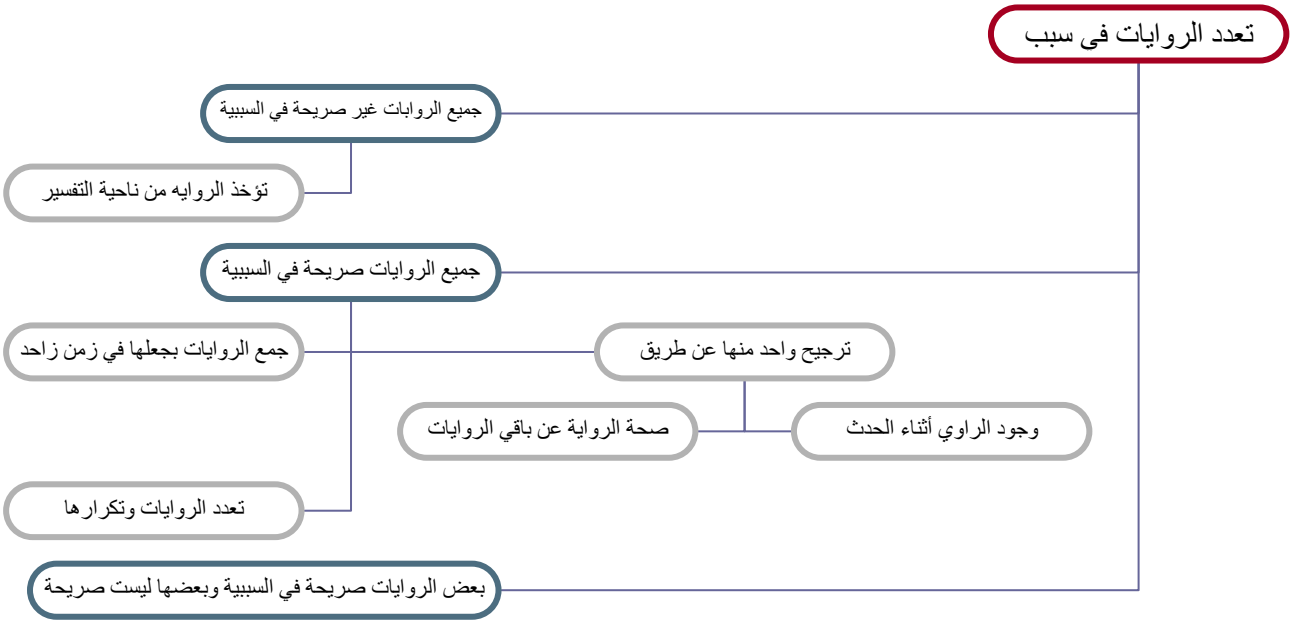

تعدد النزول مع وحدة السبب:

قد يتعدد ما ينزل والسبب واحد، ولا شيء في ذلك، فقد ينزل في الواقعة الواحدة آيات عديدة في سور شتى.

مثاله: ما أخرجه سعيد بن منصور وعبد الرزاق والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه عن أم سلمة قالت: "يا رسول الله، لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء، فأنزل الله: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ آل عمران:195.

تقدم نزول الآية على الحكم:

يذكر "الزركشي" نوعًا يتصل بأسباب النزول يسميه: "تقدم نزول الآية على الحكم", والمثال أجاب البغوي في تفسيره بأنه يجوز أن يكون النزول سابقًا على الحكم، كما قال: ﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ, وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ البلد:1-2, فالسورة مكية، وظهر أثر الحل يوم فتح مكة، حتى قال عليه الصلاة والسلام: "أُحلت لي ساعة من نهار[7]".

[7] أي جائز القتل والحرب في مكة وذلك لفترة معينة وبعد تلك الفترة فلايجوز.

❁ تعدد ما نزل في شخص واحد:

قد يحدث لشخص واحد من الصحابة أكثر من واقعة، ويتنزل القرآن بشأن كل واقعة منها، فيتعدد ما نزل بشأنه بتعدد الوقائع، ومثاله: ما رواه البخاري عن سعد بن أبي وقاص –رضي الله عنه– قال: "نزلت فيَّ أربع آيات من كتاب الله عز وجل: كانت أمي حلفت ألا تأكل ولا تشرب، حتى أفارق محمدًا ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾لقمان: 15،والثانية: أني كنت أخذت سيفًا فأعجبني فقلت: يا رسول الله. هب لي هذا السيف، فنزلت: ﴿يَسْأَلونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ الأنفال:1،والثالثة: أني كنت مرضت فأتاني رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله. إني أريد أن أُقَسِّمَ مالي، أفأُوصي بالنصف؟ فقال: لا، فقلت: الثلث، فسكت، فكان الثلث بعد جائزًا[8] ،والرابعة: أني شربت الخمر مع قوم من الأنصار، فضرب رجل منهم أنفي بلحي جمل، فأتيت رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل تحريم الخمر." وهذا ما يسمى بموافقات سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

❁ نزول القرآن جملة:

قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ البقرة:184.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ القدر: 1 ،وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ الدخان: 3.

ولا تعارض بين هذه الآيات الثلاث، فالليلة المباركة هي ليلة القدر من شهر رمضان، إنما يتعارض ظاهرها مع الواقع العملي في حياة رسول الله ﷺ حيث نزل القرآن عليه في ثلاث وعشرين سنة.. وللعلماء في هذا مذهبان أساسيان:

1- المذهب الأول: وهو الذي قال به ابن عباس وجماعة وعليه جمهور العلماء: أن المراد بنزول القرآن في تلك الآيات الثلاث نزوله جملة واحدة إلى بيت العزة من السماء الدنيا تعظيمًا لشأنه عند ملائكته، ثم نزل بعد ذلك مُنَجَّمًا على رسولنا محمد ﷺ في ثلاث وعشرين سنة حسب الوقائع والأحداث منذ بعثته إلى أن توفي صلوات الله وسلامه عليه، حيث أقام في مكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة بعد الهجرة عشر سنوات: فعن ابن عباس قال: "بُعِثَ رسول الله ﷺ لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يُوحى إليه، ثم أُمِرَ بالهجرة عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين".

وهذا المذهب هو الذي جاءت به الأخبار الصحيحة عن ابن عباس في عدة روايات منها:

أ- وعن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: "فُصِلَ القرآن من الذكر فوُضِعَ في بيت العزة من السماء الدنيا، فجعل جبريل ينزل به على النبي, ﷺ"رواه الحاكم.

---

[8] نزل في الوصية قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ البقرة: 180، ولم يأت التصريح بنزول الآية في نص الحديث.

ب- وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "أُنزل القرآن في ليلة القدر في شهر رمضان إلى سماء الدنيا جملة واحدة، ثم أُنزل نُجومًا"رواه الطبراني.

2- المذهب الثاني: وهو الذي رُوِيَ عن الشعبي: أن المراد بنزول القرآن في الآيات الثلاث ابتداء نزوله على رسول الله ﷺ فقد ابتدأ نزوله في ليلة القدر في شهر رمضان، وهي الليلة المباركة، ثم تتابع نزوله بعد ذلك متدرجًا مع الوقائع والأحداث في قرابة ثلاث وعشرين سنة، فليس للقرآن سوى نزول واحد هو نزوله مُنَجَّمًا على رسول الله ﷺ لأن هذا هو الذي جاء به القرآن: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ الإسراء:106، ويؤيد هذا ما عليه المحققون في حديث بدء الوحي.

3- وهناك مذهب ثالث: يرى أن القرآن أُنزل إلى السماء الدنيا في ثلاث وعشرين ليلة قدر في كل ليلة منها ما يُقَدِّرُ الله إنزاله في كل السنة، وهذا القدر الذي ينزل في ليلة القدر إلى السماء الدنيا لسنة كاملة ينزل بعد ذلك مُنَجَّمًا على رسول الله ﷺ في جميع السنة.وهذا المذهب اجتهاد من بعض المفسرين، ولا دليل عليه.

أما المذهب الثاني الذي رُوِيَ عن الشعبي فأدلته -مع صحتها والتسليم بها- لا تتعارض مع المذهب الأول الذي رُوِيَ عن ابن عباس. فيكون نزول القرآن جملة وابتداء نزوله مفرقًا في ليلة القدر من شهر رمضان، وهي الليلة المباركة.

فالراجح أن القرآن الكريم له تنزلان:

الأول: نزوله جملة واحدة في ليلة القدر إلى بيت العزة من السماء الدنيا.

والثاني: نزوله من السماء الدنيا إلى الأرض مفرقًا في ثلاث وعشرين سنة .

❁ حكمة نزول القرآن جملة:

أ- تفخيم أمر القرآن وأمر من نزل عليه، وذلك بإعلام سكان السماوات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم.

ب- سر يرجع لإعجاز القرآن، في ترتيب القرآن في النزول، ثم ترتيبه في المصحف، حيث ينظره جبريل في سماء الدنيا وهو على ترتيب المصحف، ثم ينزل بآياته تباعاً على حسب الحوادث، فتوضع كل آية مكانها في المصحف وفق الترتيب في اللوح المحفوظ .

❁ نزول القرآن مُنَجَّمًا:

يقول تعالى في التنزيل: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ, نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ, عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ, بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ

مُبِينٍ﴾ الشعراء192-195،ويقول: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ النحل:102. فهذه الآيات ناطقة بأن القرآن الكريم كلام الله بألفاظه العربية، وأن جبريل نزل به على قلب رسول الله ﷺوأن هذا النزول غير النزول الأول إلى سماء الدنيا, فالمراد به نزوله مُنَجَّمًا، ويدل التعبير بلفظ التنزيل دون الإنزال على أن المقصود النزول على سبيل التدرج والتنجيم، فإن علماء اللغة يُفَرِّقون بين الإنزال والتنزيل، فالتنزيل لما نزل مفرقًا، والإنزال أعم.وقد نزل القرآن مُنَجَّمًا في ثلاث وعشرين سنة منها ثلاث عشرة بمكة على الرأي الراجح، وعشر بالمدينة، وجاء التصريح بنزوله مفرَّقًا في قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ الإسراء:106, أي جعلنا نزوله مفرقًا كي تقرأه على الناس على مهل وتثبت، ونزَّلناه تنزيلًا بحسب الوقائع والأحداث.أما الكتب السماوية الأخرى -كالتوراة والإنجيل والزبور- فكان نزولها جملة، ولم تنزل مفرقة، يدل على هذا قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ الإسراء:106.

❁ حكمة نزول القرآن مُنَجَّمًا:

أ- تثبت فؤاد الرسول ﷺ وتقوية قلبه: كما قال تعالى:﴿ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ الفرقان: 32.

فقد بعث الرسول ﷺ في قوم جفاة، شديدة عداوتهم، كما قال تعالى: ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾ مريم: 97. وكانوا لا يكادون ينتهون من حملة أو مكيدة حتى يشرعوا في تدبير أخرى مثلها أو أشد منها، فكانت تنزلات القرآن بين الفينة والأخرى تواسيه وتسليه، وتشد أزره وعزيمته على تحمل الشدائد والمكارة .

ب- التحدي والإعجاز: فالمشركون تمادوا في غيهم، وبالغوا في عُتوِّهم، وكانوا يسألون أسئلة تعجيز وتحد يمتحنون بها رسول الله ﷺ في نبوته، ويسوقون له من ذلك كل عجيب من باطلهم، كعلم الساعة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ الأعراف:187، واستعجال العذاب: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ الحج:47, فيتنزل القرآن بما يبين وجه الحق لهم، وبما هو أوضح معنى في مؤدى أسئلتهم، كما قال تعالى: ﴿وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ الفرقان:33.

جـــ - تيسير فهمه وحفظه: كما قال تعالى:﴿ وَقُرءاناً فَرَقنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ الإسراء: 106. ومن مظاهر هذا الجانب أنهم كانوا قوماً أميين لا يحسنون القراءة والكتابة، فكانت الذاكرة عمدتهم الرئيسية، فلو نزل القرآن جملة واحدة لعجزوا عن حفظه، وعن عمر قال: "تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات، فإن جبريل كان ينزل بالقرآن على النبي ﷺ خمسًا خمسًا" أخرجه البيهقي.

د- مسايرة الحوادث والتدرج في الحديث: إن الله سبحانه وتعالى تتدرج في مسائله وأحكامه أثناء نزول القرآن من العقائد إلى الأخلاق ومن الحلال إلى الحرام وأوضح مثال لذلك التدرج في التشريع: تحريم الخمر.

فقد نزل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ النحل:67, إن المراد بالسُّكْر ما يُسْكِر من الخمر، وبالرزق ما يؤكل من هاتين الشجرتين كالتمر والزبيب – وهذا ما عليه جمهور المفسرين – فإن وصف الرزق بأنه حسن دون وصف السُّكْر يُشعر بمدح الرزق والثناء عليه وحده دون السُّكْر.

ثم نزل قوله تعالى: ﴿يَسْأَلونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ البقرة:219, فقارنت الآية بين منافع الخمر فيما يصدر عن شربها من طرب ونشوة أو يترتب على الاتجار بها من ربح، ومضارها في إثم تعاطيها وما ينشأ عنه من ضرر جسديا ونفسيا وخلقيا وأجتماعيا، ونفَّرت الآية منها بترجيح المضار على المنافع.

ثم نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ النساء:43, حيث جاء النهي عن قربان الصلاة في حال السُّكْر حتى يزول عنهم أثره ويعلموا ما يقولونه في صلاتهم، ثم نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ..﴾ المائدة:90-91، فكان هذا تحريمًا قاطعًا للخمر في الأوقات كلها.

ويوضح هذه الحكمة ما رُوِي عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المُفصّل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: "لا تشربوا الخمر" لقالوا: لا ندع الخمر أبدًا، ولو نزل: "لا تزنوا" لقالوا: "لا ندع الزنا أبدًا" أخرجه البخاري.

و- الدلالة القاطعة على أن القرآن الكريم تنزيل من حكيم حميد: حيث أن كلامته ذو محكم النسج، دقيق السبك، مترابط المعاني، رصين الأسلوب، متناسق الآيات والسور، كأنه عقد فريد نظمت حباته بما لم يُعهد له مثيل في كلام البشر: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ هود: 1 ،وبهذا يظهر عجز الكفار عن الآتيان بمثله وهذا دال على إعجاز رب الأرباب حيث قال: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ الإسراء: 88.

❁ جمع القرآن وترتيبه:

يطلق جمع القرآن ويُراد به عند العلماء أحد معنيين:

المعنى الأولى: جمعه بمعنى حفظه كما قال تعالى: ﴿ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ, إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ, فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ, ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ القيامة: 16-19

المعنى الثاني: جمع القرآن بمعنى كتابته كله

1- جمع القرآن بمعنى حفظه على عهد النبيﷺ :

كان رسول الله ﷺ مولعًا بالوحي، يترقب نزوله عليه بشوق، فيحفظه ويفهمه، مصداقًا لوعد الله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ القيامة: 17, فكان بذلك أول الحُفَّاظ، ولصحابته فيه الأسوة الحسنة.

وقد أورد البخاري في صحيحه بثلاث روايات سبعة من الحفَّاظ، هم: عبد الله بن مسعود، وسالم بن معقل مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأُبَيٌّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو زيد بن السكن، وأبو الدرداء، ومن هذه الروايات:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: "سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: "خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأُبَيٍّ بن كعب", وهؤلاء الأربعة: اثنان من المهاجرين هما: عبد الله بن مسعود وسالم، واثنان من الأنصار هما: معاذ وأُبَي.

2- (أ) جمع القرآن بمعنى كتابته على عهد الرسولﷺ :

اتخذ رسول الله ﷺ كتَّابًا للوحي من أجلَّاء الصحابة. كعلي، ومعاوية، وأُبَي بن كعب، وزيد بن ثابت.

عن زيد بن ثابت قال: "كنا عند رسول الله ﷺ نُؤلِّف القرآن من الرقاع".

وهذا يدل على مدى المشقة التي كان يتحملها الصحابة في كتابة القرآن، حيث لم تتيسر لهم أدوات الكتابة إلا بهذه الوسائل، فأضافوا الكتابة إلى الحفظ، ولم يُجمع في مصحف عام، حيث كان الوحي يتنزل تباعًا فيحفظه القراء، ويكتبه الكتبة، ولم تدع الحاجة إلى تدوينه في مصحف واحد، لأنه عليه الصلاة والسلام كان يترقب نزول الوحي من حين لآخر.

(ب) جمع القرآن في عهد أبي بكر, رضي الله عنه:

ثم كانت واقعة اليمامة التي قُتل فيها عدد كبير من الصحابة، وكان من بينهم عدد كبير من القراء، مما دفع عمر رضي الله عنه إلى أن يذهب إلى أبي بكر ويطلب منه الإسراع في جمع القرآن وتدوينه، حتى لا يذهب القرآن بذهاب حفاظه. وهذا الذي فعله أبو بكر رضي الله عنه، بعد أن تردد في البداية في أن يعمل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ. وبعد ذلك ذهب

إلى أكثر الصحابة حفظا للقرآن وهو زيد بن ثابت فقد كان كاتبا للوحي وحافظا له فوافق رضي الله عنه بعد أن تردد في البداية، ولا شك أن واقعة اليمامة كانت من أهم الأحداث التي حملت الصحابة على تدوين القرآن، وحفظه في المصاحف ،وقد راعى زيد بن ثابت نهاية التثبت، فكان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة، أخرج ابن أبي داود من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال: "قدم عمر فقال: مَن كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئًا من القرآن فليأت به، وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعسب، وكان لا يقبل من أحد شيئًا حتى يشهد شهيدان[9]".

فأمر أبو بكر بجمعه في مصحف واحد مرتب الآيات والسور وأن تكون كتابته غاية من التثبيت مشتملة على الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، فكان أبو بكر –رضي الله عنه– أول مَن جمع القرآن بهذه الصفة في مصحف.

السبب الداعي للجمع في عهد أبي بكر :

خشية ذهابه بذهاب حملته، حين استحر القتل بالقرَّاء.

(ج) جمع القرآن في عهد عثمان, رضي الله عنه:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن حُذيفة بن اليمان قدم عَلى عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال لعثمان: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل إلى حفصة: أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف.

وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم و زيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنه إنما نزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة ومصحف أن يحرق.

السبب الداعي للجمع في عهد عثمان :

السبب الدافع لهذا العمل الذي قام به عثمان وهو اختلاف الناس في وجوه قراءة القرآن حتى قرؤوه بلغاتهم على اتساع اللغات، فأدى ذلك بعضهم إلى تخطئة بعض، فخُشي من تفاقم الأمر في ذلك، فنسخت تلك الصحف في مصحف واحد مرتباً لسوره واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش.

❁ الرسم العثماني:

[9] يقصد بالشاهدين كما قال ابن حجر: الحفظ والكتاب.

سبق الحديث عن جمع القرآن في عهد عثمان –رضي الله عنه– وقد اتبع زيد بن ثابت والثلاثة القرشيون معه طريقة خاصة في الكتابة ارتضاها لهم عثمان، ويسمي العلماء هذه الطريقة "بالرسم العثماني للمصحف" نسبة إليه، واختلف العلماء في حكمه كل التالي:

الرأي الأول: أنه توقيفي لا يجوز مخالفته ونسبوا هذا التوقيف إلى الرسول، واستدلوا بأن النبي ﷺ كان له كُتاب يكتبون الوحي، وقد كتبوا القرآن كله بهذا الرسم، وقد أقرهم الرسول ﷺ على كتابتهم وقضى عهده ﷺ والقرآن على هذه الكتبة لم يحدث فيه تغيير ولا تبديل.

الرأي الثاني: وذهب كثير من العلماء إلى أن الرسم العثماني ليس توقيفيًّا عن النبي ﷺ ولكنه اصطلاح ارتضاه عثمان، وتلقته الأمة بالقبول، فيجب التزامه والأخذ به، ولا تجوز مخالفته.

الرأي الثالث: أن رسم المصحف اصطلاحي لا توفيقي، وعليه فيجوز مخالفته، أما الكتابة فلم يفرض الله على الأمة فيها شيئًا.

الرأي الراجح:

الرأي الثاني لأنه يجب كتابة القرآن بالرسم العثماني المعهود في المصحف ،فهو الرسم الاصطلاحي الذي توارثته الأمة منذ عهد عثمان –رضي الله عنه– والحفاظ عليه ضمان قوي لصيانة القرآن من التغيير والتبديل في حروفه

❁ تحسين الرسم العثماني :

بدأ تحسين الرسم العثماني بعد أن كان فهم العرب وإدراكهم للغتهم عاليا، إذ بدأ إفشاء العجم في كل مكان وزيادة اللحن في كل لسان مما أدى إلى ضرورة تحسيم الرسم العثماني عند أولو الأمر بالتنقيط والشكل والحركات مما يساعد على القراءة الصحيحة، ولقد اختلف العلماء في أول جهد بذل في ذلك السبيل كما يلي:

أ– منهم من قال: أبو الأسود الدؤلي الذي ينسب إليه وضع ضوابط اللغة العربية بأمر من سيدنا علي بن أبي طالب. يروي أنه سمع قارئاً يجر اللام من رسوله في قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ التوبة: 3، فغير المعنى، ففزع لهذا اللحن وقال: عز الله وجل أن يبرأ من رسوله، فعندئذ قام بوضع ضوابط التشكيل حفاظاً عليه من اللحن.

ب– ومن العلماء من قال: أول من شكل المصحف : الحسن البصري، ويحيى بن يعمر، ونصر بن عاصم الليثي بأمر من الحجاج.

❁ أدلة نزول القرآن على سبعة أحرف:

– عن ابن عباس –رضي الله عنهما– أنه قال: "قال رسول الله ﷺ: "أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف" أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

– عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يُقْرِئنيها رسول الله ﷺ، فكِدت أساوِره في الصلاة ، فتصَّبرت حتى سلّم ، فلَبَّبْتُهُ بردائه، فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ، قال: أقرأنِيْها رسول الله ﷺ، فقلت له: كذبت، أقرانيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تُقرئها، فقال: " أرسله، اقرأ يا هشام"، فقرأ القراءة التي سمعته، فقال رسول الله ﷺ: " كذلك أنزلت " ثم قال رسول الله ﷺ:" اقرأ يا عمر "، فقرأت التي أقرأني. فقال:"كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر منه ".

❁ اختلاف أقوال العلماء في المراد بالأحرف السبعة كلآتي:

1– أن الكلمات مختلفة والمعنى واحد، مثل: عجل(أسرع).

فقيل: هي لغات: قريش، وهذيل، وثقيف، وهوازن، وكنانة، وتميم، واليمن.

2– أن الألفاظ مختلفة والمعنى واحد، مثل: مالك(ملك)، وهذا هو القول الراجح.

3– أي أنها ذو سبعة مسائل: الأمر، والنهي، والوعد، والوعيد، والجدال، والقصص، والمثل.

4– أي أن وجوه التغاير في اختلاف الأسماء والأعراب والتصريف والإبدال والزيادة والنقص واللهجات بالتفخيم والترقيق.

اختلاف أوزان الأسماء من الواحدة،والتثنية، والجموع، والتذكير، والمبالغة. ومن أمثلته: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾المؤمنون: 8، وقرئ. ﴿لأَمَانَاتِهِمْ﴾ بالإفراد.

ثانيها: اختلاف تصريف الأفعال وما يسند إليه، نحو الماضي والمستقبل، والأمر ، وأن يسند إلى المذكر والمؤنث، والمتكلم والمخاطب، والفاعل، والمفعول به. ومن أمثلته: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ سبأ: 19 بصيغة الدعاء، وقرئ: ﴿رَبَّنَا بَاعَدَ﴾ فعلا ماضيا.

ثالثها: وجوه الإعراب. ومن أمثلته: ﴿وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ﴾البقرة: 282 قرئ بفتح الراء وضمها. وقوله ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾البروج: 15 برفع ﴿الْمَجِيدُ﴾ وجره.

رابعها: الزيارة والنقص، مثل: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى﴾ الليل: 3 قرىء ﴿الذَّكَرَ وَالأُنْثَى﴾.

خامسها: التقديم والتأخير، مثل،﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ التوبة: 111 وقرئ: ﴿فَيُقْتَلُونَ ويَقْتُلُون﴾ ومثل: ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾، قرئ: ﴿وجاءت سكرة الحق بالموت﴾.

سادسها: القلب والإبدال في كلمة بأخرى، أو حرف بآخر، مثل: ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ البقرة: 259 بالزاي، وقرئ: ﴿ننشرها﴾ بالراء.

سابعها: اختلاف اللغات: مثل ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ النازعات: 15 بالفتح و الإمالة في: ﴿أتى﴾ و ﴿موسى﴾ وغير ذلك من ترقيق وتفخيم وإدغام...

فهذا التأويل مما جمع شواذ القراءات ومشاهيرها ومناسيخها على موافقة الرسم ومخالفته، وكذلك سائر الكلام لا ينفك اختلافه من هذه الأجناس السبعة المتنوعة.

5- أي أنه رمز على أن القرآن كامل في بلاغته وفصاحته.

❁ حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف:

1- تيسير القراءة والحفظ على قوم أميين.

2- إعجاز القرآن للفطرة اللغوية عند العرب.

3-إعجاز القرآن في معانيه وأحكامه.

❁ القراءات والقرَّاء:

القراءات: جمع قراءة، مصدر قرأ في اللغة، ولكنها في الاصطلاح العلمي: مذهب من مذاهب النطق في القرآن يذهب به إمام من الأئمة القرَّاء مذهبًا يخالف غيره.

وهي ثابتة بأسانيدها إلى رسول الله ﷺ ويرجع عهد القرَّاء الذين أقاموا الناس على طرائقهم في التلاوة إلى عهد الصحابة، فقد اشتهر بالإقراء منهم: أُبَي, وعلي، وزيد بن ثابت، وابن مسعود، وأبو موسى الأشعري، وغيرهم، وعنهم أخذ كثير من الصحابة والتابعين في الأمصار، وكلهم يسند إلى رسول اللهﷺ.

والأئمة السبعة الذين اشتهروا من هؤلاء في الآفاق من القرن الثالث هم: أبو عمرو، ونافع، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وابن عامر، وابن كثير.

❁ كثرة القرَّاء والسبب في الاقتصار على السبعة:

قراءات أولئك السبع هي المتفق عليها، وقد اختار العلماء من أئمة القراءة غيرهم ثلاثة صحت قراءتهم وتواترت، وهم: أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني، ويعقوب بن إسحاق الحضرمي، وخلف بن هشام، وهؤلاء وأولئك هم أصحاب القراءات العشر. وما عداها فشاذ، كقراءة: اليزيدي، والحسن, والأعمش، وابن جبير، وغيرهم.

والسبب في الاقتصار على السبعة مع أنه في أئمة القرَّاء مَن هو أجلُّ منهم ،وذلك لأنهم نظروا إلى من اشتهر بالثقة والأمانة، وطول العمر في ملازمة القراءة والاتفاق على الأخذ عنه فأفردوا من كل مصر إمامًا واحدًا.

❁ ضابط القراءة المقبولة

لقد ضبط علماء القراءات القراءة المقبولة بقاعدة مشهورة متفق عليها بينهم ، وهي:

كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت رسم أحد المصاحف ولو احتمالا، وتواتر سندها، فهي القراءة الصحيحة.

يتبين من هذا الضابط ثلاثة شروط هي:

الشرط الأول: موافقة العربية ولو بوجه:

ومعنى هذا الشرط أن تكون القراءة موافقة لوجه من وجوه النحو، ولو كان مختلفا فيه اختلافا لا يضر مثله، فلا يصح مثلا الاعتراض على قراءة حمزة. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامِ﴾ النساء: 1 بجر الأرحام.

الشرط الثاني: موافقة خط أحد المصاحف ولو احتمالا:

وذلك أن النطق بالكلمة قد يوافق رسم المصحف تحقيقا إذا كان مطابقاً للمكتوب، وقد يوافقه احتمالاً أو تقديراً باعتبار ما عرفنا أن رسم المصحف له أصول خاصة تسمح بقراءته على أكثر من وجه.

مثال ذلك: ﴿ملك يوم الدين﴾ رسمت ﴿ملك﴾ بدون ألف في جميع المصاحف، فمن قرأ: (ملك يوم الدين) بدون ألف فهو موافق للرسم تحقيقياً، ومن قرأ: ﴿مالك﴾ فهو موافق تقديراً، لحذف هذه الألف من الخط اختصاراً .

الشرط الثالث: تواتر السند:

وهو أن تعلم القراءة من جهة راويها ومن جهة غيره ممن يبلغ عددهم التواتر في كل طبقة.

❁ أنواع القراءات حسب أسانيدها:

لقد قسم علماء القراءة القراءات بحسب أسانيدها إلى ستة أقسام:

1- المتواتر: وهو ما نقله جمع غفير لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهى السند، وهذا النوع يشمل القراءات العشر المتواترات.

2- المشهور: وهو ما صح سنده ولم يبلغ درجة المتواتر، ووافق العربية والرسم، واشتهر عند القرَّاء فلم يعدوه من الغلط، ولا من الشذوذ, وذكر العلماء في هذا النوع أنه يُقرأ به.

3- الآحاد: وهو ما صح سنده وخالف الرسم أو العربية، أو لم يشتهر الاشتهار المذكور، وهذا لا يجوز القراءة. مثل ما روى على ((رفارف حضر وعباقري حسان))، والصواب الذي عليه القراءة: ﴿رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ الرحمن: 76.

4- الشاذ: وهو ما لم يصح سنده ولو وافق رسم المصحف والعربية، مثل قراءة : ((مَلَكَ يومَ الدين))، بصيغة الماضي في ((ملك)) ونصب ((يوم)) مفعولاً.

5- الموضوع: وهو المختلق المكذوب ولا أصل له.

6- المدرج: وهو ما زيد في القراءة على وجه التفسير.

وهذه الأنواع الأربعة الأخيرة لا تحل القراءة بها، ويعاقب من قرأ بها على جهة التعبير.

❁ فوائد الاختلاف في القراءات الصحيحة:

ولاختلاف القراءات الصحيحة فوائد منها:

1-الدلالة على صيانة كتاب الله وحفظه من التبديل والتحريف مع كونه على هذا الأوجه الكثيرة.

2-التخفيف عن الأمة وتسهيل القراءة عليها.

3-إعجاز القرآن في إيجازه، حيث تدل كل قراءة على حكم شرعي دون تكرر اللفظ كقراءة: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ المائدة: 6، قرىء: ﴿وأرجلِكم﴾ بالنصب عطفاً على المغسولات السابقة، فأفاد وجوب غسل القدمين في الوضوء، وقرىء بالجر، فقيل: هو جر على المجاورة، وقيل: هو بالجر لإفادة المسح على الخفين، وهو قول جيد.

بيان ما يُحتمل أن يكون مُجملًا في قراءة أخرى كقراءة" :فامضوا إلى ذكر الله" فإنها تبيِّن أن المراد بقراءة "فاسعوا" الذهاب لا المشي السريع في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسَعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾الجمعة:9.

❁ القرآء السبع المشهورين هم كالتالي:

1- أبو عمرو بن العلاء شيخ الرواة وراوياه: الدوري، والسوسي.

2-ابن كثيروراوياه: البزي، وقنبل.

3- نافع المدني وراوياه: قالون، وورش.

4- ابن عامر الشامي وراوياه: هشام، وابن ذكوان.

5-عاصم الكوفي وراوياه: شعبة، وحفص.

6- حمزة الكوفي وراوياه: خلف، وخلاد.

7-الكسائي الكوفي وراوياه: أبو الحارث، وحفص الدوري .

❁ الإحكام العام والتشابه العام:

المُحكم لغة: مأخوذ من حكمت الدابة وأحكمت: بمعنى منعت،وإحكام الشيء: إتقانه، والمحكم: المتقن.

فإحكام الكلام: إتقانه بتمييز الصدق من الكذب في أخباره، والرشد من الغي، كقوله تعالى:﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾هود:1.

والمتشابه لغة: مأخوذ من التشابه: وهو أن يشبه أحد الشيئين الآخر.

وتشابه الكلام: هو تماثله وتناسبه بحيث يُصدّق بعضه بعضًا، كقوله تعالى:﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ﴾الزمر:23، أي إنه يشبه بعضه بعضًا في الكمال والجودة، ويُصدّق بعضه بعضًا في المعنى ويماثله، وهذا هو التشابه العام.

❁ الإحكام الخاص والتشابه الخاص

اختلف العلماء في معناها كما يلي:

أ- المحكم: ما عُرِف المراد منه. والمتشابه: ما استأثر الله بعلمه.

ب- المحكم: ما لا يحتمل إلا وجهًا واحدًا. والمتشابه: ما احتمل أوجهًا.

جـ- المحكم: ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان. والمتشابه: ما لا يستقل بنفسه واحتاج إلى بيان برده إلى غيره.

للمحكم في القرآن بناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه ووعده ووعيده. وللمتشابه: بمنسوخه وكيفيات أسماء الله وصفاته التي في قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾طه:5، فقد فسرت بطرق أخرى بوجه الاختلاف ومنهم من رجع إلى التأويل.

❁ تعريف العام وصيغ العموم:

العام: هواللفظ المستغرق لما يصلح له من غير حصر، لأنه لو صار حصرا لما صار عاما.

❁ الصيغ الدالة على العموم:

"كل" :كقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾آل عمران:185 .

المعرف بـــ "ال" التي ليست للعهد: كقوله: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ المائدة:5.

النكرة في سياق النفي والنهي: كقوله: ﴿فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ البقرة:197.

"الذي" و"التي" وفروعهما: كقوله: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا﴾ الأحقاف:17.

أسماء الشرط: كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ البقرة:158.

❁ أقسام العام:

1- الباقي على عمومه،كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ النساء:176،فإنه لا خصوص فيها.

2- العام المراد به الخصوص، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ آل عمران:173,

فالمراد بالناس الأولى نعيم بن مسعود، والمراد بالناس الثانية أبو سفيان لا العموم في كل منهما.

تعريف الخاص وبيان المخصص:

الخاص: يقابل العام، فهو الذي لا يستغرق الصالح له من غير حصر. و**التخصيص:** هو إخراج بعض ما تناوله اللفظ العام، و**المخصص:** إما ***متصل***: وهو الذي لم يُفصل فيه بين العام والمخصص له بفاصل، وإما ***منفصل***: وهو بخلافه: والمتصل خمسة: أحدها: الاستثناء، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ، **إِلاَّ** الَّذِينَ تَابُوا﴾ النور:4-5.

❁ الناسخ والمنسوخ:

لقد أرسل الله رسله مع شرائعهم وذلك لإصلاح الناس في العقيدة والعبادة والمعاملة، إلا أن مطالب كل أمة قد تختلف عن مطالب أختها، فحكمة التشريع في هذه غيرها في تلك، فلا غرابة في أن يرفع تشريع بآخر مراعاة لمصلحة العباد عن علم سابق بالأول والآخر.

❁ تعريف النسخ وشروطه:

والنسخ لغة: يُطلق بمعنى الإزالة،ويطلق بمعنى نقل الشيء من موضع إلى موضع، ومنه نسخت الكتاب: إذا نقلت ما فيه. وفي القرآن: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الجاثية:29, والمراد به نقل الأعمال إلى الصحف.

اصطلاحا: رفع حكم شرعي بدليل شرعي متأخر. ويطلق الناسخ على الله تعالى كقوله: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾البقرة:106.

❁ شروط النسخ:

1-أن يكون الحكم المنسوخ شرعياً.

2-أن يكون الدليل على ارتفاع الحكم دليلاً شرعياً متراخياً عن الخطاب المنسوخ حكمه.

3-ألا يكون الخطاب المرفوع حكمه مقيداً بوقت معين مثل قوله تعالى:﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾البقرة:109، فالعفو والصفح مقيد بمجيء أمر الله.

❁ ما يقع فيه النسخ:

النسخ لا يكون إلا في الأوامر والنواهي ولا يكون في العقائد والغيبيات إنما يكون في المعملات التي فيها مقتضى النهي والأمر.

❁ طرق معرفة الناسخ والمنسوخ:

1-النقل الصريح عن النبي ﷺ أو عن صحابي.

2-إجماع الأمة على أن هذا ناسخ وهذا منسوخ.

3-معرفة المتقدم من المتأخر في التاريخ.

ولا يعتمد في النسخ على الاجتهاد، أو قول المفسرين، أو التعارض بين الأدلة ظاهرًا.

❁ رأي جمهور العلماء في النسخ وأدلة ثبوته:

جواز النسخ عند جمهور أهل العلم عقلًا ووقوعه شرعًا لأدلة: لأن نصوص الكتاب والسُّنَّة دالة على جواز النسخ ووقوعه:قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ النحل:101. وقال: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ البقرة:106.

❁ أنواع النسخ في القرآن الكريم:

1- نسخ التلاوة والحكم معًا، ومثاله: ما رواه مسلم وغيره عن عائشة قالت: "كان فيما أُنزل: عشر رضعات معلومات يُحرِّمن، فنسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله ﷺ وهن مما يُقرأ من القرآن", وقولها: "وهن مما يُقرأ من القرآن" ظاهره بقاء التلاوة، وليس كذلك، فإنه غير موجود في المصحف العثماني. وأجيب بأن المراد: قارَبَ الوفاة.

2- نسخ الحكم وبقاء التلاوة، ومثاله: نسخ حكم آية العِدَّة بالحول مع بقاء تلاوتها ومن هاهنا ذهب كثير من العلماء إلى أن هذه الآية ناسخة للآية التي بعدها وهي قوله تعالى:﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لأزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾البقرة: 240 ⬅ قال تعالى :﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ سورة البقرة:234، والحكمة من ذلك كما يلي:

- أن القرآن كما يُتلى ليُعرف الحكم منه، والعمل به، فإنه يُتلى كذلك لكونه كلام الله تعالى فيُثاب عليه، فتُرِكت التلاوة لهذه الحكمة.

- أن النسخ غالبًا يكون للتخفيف, فأُبقيت التلاوة تذكيرًا بالنعمة في رفع المشقة.

3- نسخ التلاوة مع بقاء الحكم، ومنها آية الرجم: "الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالًا من الله، والله عزيز حكيم"، وبعض أهل العلم يُنكر هذا النوع من النسخ. لأن الأخبار فيه أخبار آحاد.

❁ حكمة النسخ:

1-مراعاة مصالح العباد.

2-تطور التشريع إلى مرتبة الكمال حسب تطور الدعوة وتطور حال الناس.

3-ابتلاء المكلَّف واختباره بالامتثال وعدمه.

4- إرادة الخير للأمة والتيسير عليها؛ لأن النسخ إن كان إلى أشقَّ ففيه زيادة الثواب، وإن كان إلى أخف ففيه سهولة ويُسر.

❁ تعريف الإعجاز وإثباته:

الإعجاز: إثبات العجز. والعجز في التعارف: اسم للقصور عن فعل الشيء. وهو ضد القدرة، وإذا ثبت الإعجاز ظهرت قدرة المعجز، والمراد بالإعجاز هنا: إظهار صدق النبي ﷺ في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة –وهي القرآن– وعجز الأجيال بعدهم.

والقرآن الكريم تحدى به النبي ﷺ العرب، وقد عجزوا عن معارضته مع طول باعهم في الفصاحة والبلاغة، ومثل هذا لا يكون إلا معجزًا.

فقد ثبت أن الرسول ﷺ تحدى العرب بالقرآن على مراحل ثلاث:

أ– تحداهم بالقرآن كله في أسلوب عام يتناولهم ويتناول غيرهم من الإنس والجن تحديًّا يظهر على طاقتهم مجتمعين، بقوله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ الإسراء:88.

ب– ثم تحداهم بعشر سور منه في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ هود:13–14.

جـ– ثم تحداهم بسورة واحدة منه في قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ يونس:38.

❁ وجوه إعجاز القرآن:

لقد كان لنشأة علم الكلام في الإسلام أثر أصدق ما يقال فيه: إنه كلام في كلام، وما فيه من وميض التفكير يجر متتبعه إلى مجاهل من القول بعضها فوق بعض. وقد بدأت مأساة علماء الكلام في القول بخلق القرآن، ثم اختلفت آراؤهم وتضاربت في وجوه إعجازه:

أ– فذهب أبو إسحاق إبراهيم النظام ومن تابعه – كالمرتضى من الشيعة – إلى أن إعجاز القرآن كان بالصرفة، ومعنى الصرفة في نظر النظام: أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها، فكان هذا الصرف خارقًا للعادة، ومعناها في نظر المرتضى: أن الله سلبهم العلوم التي يُحتاج إليها في المعارضة، ليجيئوا بمثل القرآن – وهو قول يدل على عجز ذويه، فلا يقال فيمن سُلِب القدرة على شيء أن الشيء أعجزه ما دام في مقدوره أن يأتي به في وقت ما، وإنما المعجز حينئذ هو قدر الله. والقول بالصرفة قول فاسد يرد عليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ الإسراء:88, فإنه يدل على عجزهم

مع بقاءقدرتهم، ولو سُلبوا القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم، لمنزلته منزلة اجتماع الموتى، وليس عجز الموتى بكبير يُحتفل بذكره.

ب- وذهب قوم إلى أن القرآن مُعجز ببلاغته التي وصلت إلى مرتبة لم يُعهد لها مثيل .

جـ- وبعضهم يقول: إن وجه إعجازه في تضمنه البديع الغريب المخالف لما عُهِد في كلام العرب من الفواصل والمقاطع.

د- ويقول آخرون: بل إعجازه في الإخبار عن المغيبات المستقبلة التي لا يُطَّلع عليها إلا الوحي. كقوله تعالى في أهل بدر: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ القمر:45. وقوله: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ﴾ الفتح:27.

هـ- وذهب جماعة إلى أن القرآن مُعجز لما تضمنه من العلوم المختلفة، والحِكَم البليغة.

وهناك وجوه أخرى للإعجاز تدور في هذا الفلك جمعها بعضهم في عشرة أو أكثر.

والحقيقة أن القرآن معجز بكل ما يتحمله هذا اللفظ من معنى:

فهو مُعْجز في ألفاظه وأسلوبه، وهو مُعْجز في بيانه ونظمه، وهو مُعجز في معانيه التي كشفت الستار عن الحقيقة الإنسانية ورسالتها في الوجود، وهو مُعجز بعلومه ومعارفه التي أثبت العلم الحديث من حقائقها المغيبة، وهو مُعجز في تشريعه وصيانته لحقوق الإنسان وتكوين مجتمع مثالي تسعد الدنيا على يديه.

❁ القدر المعجز من القرآن:

أ- يذهب المعتزلة إلى أن الإعجاز يتعلق بجميع القرآن لا ببعضه، أو بكل سورة برأسها.

ب- ويذهب بعضهم إلى أن المُعْجز منه القليل والكثير دون تقييد بالسورة لقوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾الطور:34 .

جـ- ويذهب آخرون إلى أن الإعجاز يتعلق بسورة تامة ولو قصيرة، أو قدرها من الكلام كآية واحدة أو آيات.

ولقد وقع التحدي بالقرآن كله: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ.﴾ وبعشر سور: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ.﴾ وبسورة واحدة: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾وبحديث مثله: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ.﴾.

ونحن لا نرى الإعجاز في قدر معين؛ لأننا نجده في أصوات حروفه ووقع كلماته، كما نجده في الآية والسورة، فالقرآن كلام الله وكفى، وللإعجاز القرآني ثلاثة نواحي وهي: ناحية الإعجاز اللغوي، وناحية الإعجاز العلمي، وناحية الإعجاز التشريعي.

❁ **الترجمة على معنيان:**

أوجه الاختلاف	ترجمة حرفية	ترجمة تفسيرية أو معنوية
المفهوم	هي نقل ألفاظ من لغة إلى نظائرها من اللغة الأخرى بحيث يكون النظم موافقًا للنظم، والترتيب موافقًا للترتيب.	هي بيان معنى الكلام بلغة أخرى من غير تقييد بترتيب كلمات الأصل أو مراعاة لنظمه.
الحكم	لا يجوز، وذلك لأن لكل لغة أسلوب فالترجمة الحرفية لآيات القرآن تؤدي إلى تغير المعنى في الآيات.	يجوز، وذلك لأنها تأخذ جل المعنى المراد فالآيات وبهذا يسهل ترجمتها إلى لغة أخرى وإلى المعنى الصحيح.

❁ **معنى التفسير والتأويل:**

أوجه الاختلاف	التفسير	التأويل
لغة	تفعيل من الفَسر بمعنى الإبانة والكشف وإظهار المعنى المعقول.	مأخوذ من الأول، وهو الرجوع إلى الأصل.
اصطلاحا	علم يُفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد, صلى الله عليه وسلم: وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه.	التأويل عند السلف المراد منه التفسير. أما عند المتأخرين: هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به.

تم بحمد الله تعالى